ض

ضِبا

تقع ضبا على ساحل البحر الأحمر في منطقة تبوك على خط الطول ٤١َ ٣٥ْ شرقاً ودائرة العرض ٢١َ ٢٧ْ شمالاً، وهي من الموانئ القديمة على ساحل شمال الحجاز منذ العصور السابقة للميلاد، ومنزل مهم من منازل طريق الحج المصري الساحلي خلال العصور الإسلامية. ويرد اسم ضبا في المصادر الجغرافية بعدة صور: ضبة وظبة وضبا وظبا. وكانت ضبا في القرون الهجرية الأولى قرية مأهولة بها سبع آبار عذبة، ومن المراسي المأمونة على طريق القلزم (البحر الأحمر)، تلجأ إليه السفن للاحتماء به عند هبوب الرياح والعواصف. وقد عدها المقدسي، الذي عاش في القرن الرابع

إحدى الآبار القديمة – ضبا

الهجري، إحدى مدن شمال الحجاز التابعة لمنطقة وادي القرى. ولا توجد بوادي ضبا في الوقت الحاضر آثار معمارية باقية من تلك الفترة، باستثناء عدد قليل من النقوش الكوفية منفذة على صخرة في أعلى الوادي. أما الآبار السلطانية الباقية بوادي ضبا فيرجع تاريخها إلى مطلع القرن الثاني عشر الهجري.

وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي نشأت حول مرسى ضبا بلدة صغيرة لم تلبث أن توسعت وزاد عدد سكانها وأصبحت تتكون من حيين رئيسيين هما: حي الساحل، ويوجد به الميناء والجمرك، وسوق البلدة، والمسجد الجامع، والقلعة، وأقدم منازل البلدة، وحي القرفاء، وتقع فيه أكثر منازل البلدة القديمة. وجَمَعَ تخطيط مدينة ضبا القديمة بين نظام الأحواش، الذي شاع استخدامه في تخطيط مدن المنطقة خلال العهد العثماني كالمدينة المنورة، ونظام التخطيط الحديث الذي تكون فيه المنازل متلاصقة في شكل بلوكات. وقد أزيلت في الوقت الحاضر أجزاء كبيرة من بلدة ضبا القديمة، وكانت تضم عدداً من المباني يرجع تاريخ

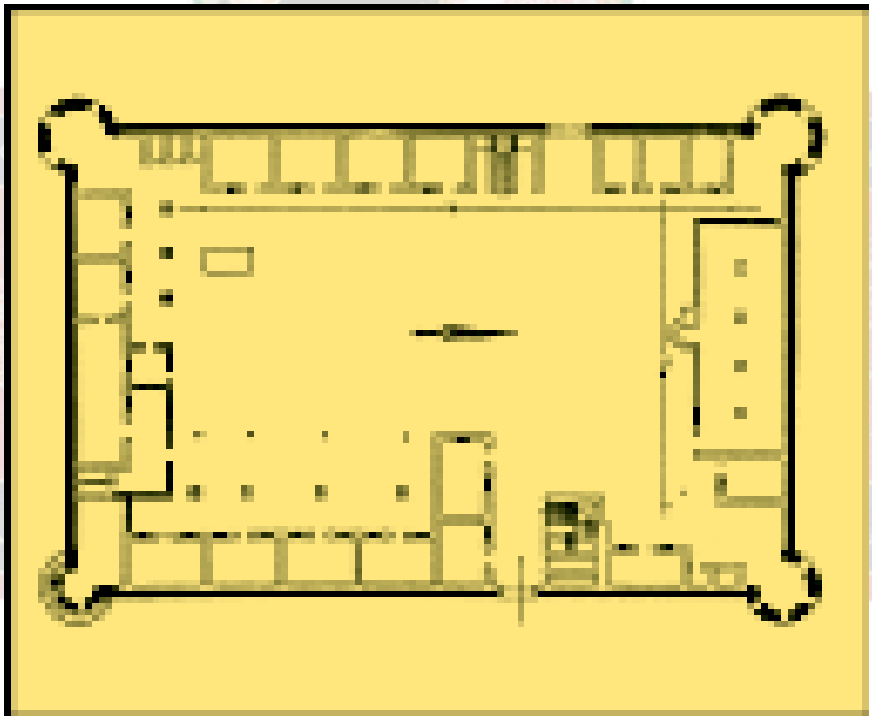

مسقط لقلعة الملك عبدالعزيز

بنائها إلى نهاية العهد العثماني وبداية العهد السعودي. وأهم المباني والمنشآت القديمة في ضبا ما يلي:

- السوق القديمة، وقد أزالت بلدية ضبا جزءاً كبيراً منها.
- مسجد الزاوية، ويقع في الطرف الشرقي لحي الساحل.
- قلعة الملك عبدالعزيز، وتقع على تلة تشرف على الميناء والسوق، وقد بنيت في عهد الملك عبدالعزيز سنة ١٣٥٢هـ، وكان يوجد في مكانها من قبل برج أنشئ في نهاية العصر العثماني.
- مسجد ضبا الجامع، ويقع على شاطئ البحر بالقرب من رصيف الميناء، وقد أزيل البناء القديم للمسجد مؤخراً بغرض إقامة مسجد حديث في مكانه. ويرجع تاريخ بناء هذا المسجد إلى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري.

ضَرما

تقع ضرما على خط الطول ٩ ٠َ ٤٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٧ َ ٢٤ْ شمالاً في منطقة الرياض وتبعد عن مدينة الرياض غرباً بنحو ٥٠كم تقريباً. عرفت مدينة ضرما بوجود الاستيطان القديم فيها، وكانت تسمى في القديم قرما ثم دخلها التحريف فأصبحت اليوم تسمى ضرما، وقد أشار ياقوت في معجم البلدان إلى

معثورات من ضرما

أن قرما قرية بوادي قرقرى باليمامة، وهي كثيرة النخل. وقد روى الغوري في جامعه أنها قرية عظيمة لبني نمير وأخلاط من العرب.

وقد كشفت وكالة الآثار والمتاحف عن موقعين إسلاميين يعودان إلى العصر العباسي، ويقعان في الطرف الجنوبي من مدينة ضرما، وأجريت فيهما مجسات آثارية، وهما:

السوق: وهي سوق قديمة كُشف عن بعض أجزائها، وهي مجموعة من الغرف الصغيرة بنيت على صف مستقيم.

الوحدات المعمارية: وتتمثل في بقايا المساكن ذات الأرضيات المجصصة، وعلى بعض جدرانها أفاريز جصية عبارة عن قوالب ذات زخارف نباتية. وعثر أيضاً على كسر من الفخار، والفخار المزجج، وكسر الزجاج.

ضَرِيَّة

ضريّة محافظة في جنوب غرب منطقة القصيم، وموقع أثري كبير إلى الجنوب الغربي من محافظة الرس بالقصيم بحوالي ١٦٥كم، على خط الطول ٥٥ َ ٤٢ ْ شرقاً ودائرة العرض ٤٤ َ ٢٤ ْ شمالاً.

أما حدودها حالياً فمن الشمال حدود ضريّة الحديثة، ومن الجنوب هي امتداد لما يسمى ريع ضريّة، وهي منطقة زراعية مستوية، واقعة بين هضاب ومرتفعات جبلية من الشرق والغرب. ويخترق وادي ضريّة الموقع ليتجه إلى الشرق، إذ تنخفض الأرض باتجاه طخفة، ويقسم وادي ضرية إلى قسمين شمالي وجنوبي.

وجاء ذكر ضرية عند الحربي في كتابه المناسك إذ يقول «سميت ضريّة ببئرها، أو نسبة إلى ضريّة بنت ربيعة. ومن طخفة إلى ضريّة ١٨ ميلاً». وفي موضع آخر يقول:

> ضريّة بلد قديم، وقرية عامرة، على طول الدهر، فيها جبلان يشرفان عليها، أحدهما عن يمين المصعد يقال له وسط ... وبحضرة هذا الجبل قاع يزدرع فيه ... والجبل الآخر عن يسار المصعد، يقال له الأحسن، وبه معدن الفضة، وحماه عمر بن الخطاب لإبل الصدقة، فلما ولي عثمان أرعاه إبل الصدقة، وإبل بني أمية ... وبضرية بركة وآبار كثيرة ونخل، وبها بئر يقال لها الطهمانية طيبة (١٩٦٩: ٥٩٤-٥٩٧).

وأشار الأصفهاني في كتابه بلاد العرب إلى ضريّة بعد أن حدد موقعها وجبالها، قال:

وإن بها بئراً من حفر عاد، ويمر بها طريق اليمامة. ويذكر أن ضريّة سرة الحمى، وهي قرية عظيمة غنّاء يطؤها الطريق، فيها بنو عامر والتجار، وعامتها لآل جعفر بن سليمان. وماء من وراء ضريّة يقال له ضُرَيّ (١٩٦٨: ٣٩١-٣٩٣).

وذكر ياقوت في معجم البلدان أنها «قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة من نجد. قال الأصمعي يعدد مياه نجد: الشرف كبد نجد. وفيها حمى ضرية».

ويتضح مما ذكره البلدانيون، أن ضريّة كانت معمورة قبل ظهور الإسلام، وحظيت في القرون الأولى للإسلام بشهرة عندما جعل منها الخليفة عمر بن الخطاب # حمى لإبل الصدقة، وأصبحت إحدى المحطات الرئيسية على طريق الحج البصري إلى مكة، وملتقى طريقي اليمامة ودرب زبيدة، كما أنها كانت ممراً لإحدى السرايا الإسلامية التي انطلقت من المدينة المنورة إلى جنوب القصيم وشماله الغربي.

وعلى الرغم من أن ضريّة كانت إحدى المنازل على طريق البصرة، إلا أن أهميتها تنبع من كونها قاعدة لحمى إبل الصدقة، إضافة إلى وفرة مياهها، وخصوبة أرضها الزراعية والرعوية. ونتيجة لهذه المرتكزات المعيشية أصبحت ضريّة مقصداً لبعض الجماعات، ومكان استيطان للقبائل المجاورة لها. وهي إحدى المراكز التجارية الثلاثة في القصيم، فإلى جانب ضريّة هناك النباج والقريتان.

وقد ذكر العبودي في كتابه المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية أن السمهودي نقل أن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس أحدث بسوق ضرية حوانيت جعلها سماطين، داخلين في سماطي ضرية الأولين، فيهما نيف وثمانون حانوتاً، فربما جمعت غلة الحوانيت والنخل والزرع ثمانية آلاف في السنة.

كما يفهم من كلام السمهودي في كتابه وفاء الوفا أن جعفر بن سليمان بن علي صاحب القريتين قد أضاف نيفاً وثمانين حانوتاً على ما كان في سوق ضريّة، وقد قَدَّرها العبودي بنحو مائة وسبعين حانوتاً.

هذا من حيث الحوانيت والحركة التجارية، أما الاستقرار والزراعة فقد ذكرت المصادر السابقة، أن ضريّة بلد زراعي كثير القرى والنخل والآبار والبساتين، وحدد النشاط الزراعي في

فوهة إحدى خرزات عين ضرية

برقة العيرات، وهي منطقة زراعية قريبة جداً من مدينة ضريّة الحديثة.

وفي القسم الشمالي آبار مياه، وهي ذات فوهات واسعة، مطوية في جزئها العلوي بالحجارة، وتقوم على أرض صخرية بحيث يُحفر الجزء السفلي بالصخر، ثم تطوى الأجزاء العلوية بالحجارة. والآبار شبه دائرية، تتصل بها من أسفل قنوات مائية محفورة بالصخر بشكل دائري، وتمتد على مسافة كيلومتر واحد تقريباً إلى جهة الجنوب، إذ توجد منطقة المزارع وأساسات المباني الحجرية جنوباً. والفرع الآخر من القنوات معاكس للفرع الأول، يتجه شمالاً إلى ما يُعرف بضروة. وقد كشف عن القناة مؤخراً، عندما انهارت أجزاؤها العلوية بفعل السيول ومرور المركبات عليها.

وفي ضرية أساسات مبان من الحجارة على شكل غرف وأسوار ومنشآت زراعية، ويعتقد أنها البلدة القديمة لضريّة التي ذكرتها المصادر. ويبلغ متوسط سمك الجدران حوالي ٤٠ سم. وقد امتدت

كتابات في ضرية

المباني وبعض المزارع إلى الجزء الشمالي وحُفرت أجـزاء منه بواسـطة الجرافات والأمطار. ويشـاهد على سطحه كمـية كبيرة من الـلُّقَى الأثرية، مثل: الفخار والخزف والزجاج. كما أن بعض أجزاء الموقع قد استوطنت في فترة سكنية متأخرة عن فترة استيطانه الأولى. ومما لا شك فيه أن الموقع غني بالمعثورات، إذ ينتشر الفخار والخـزف على سطحه بـكميات كبيرة، كما أنه قريب جداً من جبل سناف الواقع على بعد ٢٠٠ م عنه، والذي عثر فيه على عدد كبير من الكتابات.

أما القسم الجنوبي فيتكون من:

السد: ويقع في وسط وادي ضـرية ليـحجز الميـاه القادمة مـن الغرب إلى الشرق، وقد اختير موقع السد في أضيق منطقة تـقريباً، إذ يمتد من الشمال إلـى الجنوب، ويتكئ طرفه الجنوبي على ضلع ضرية، وطرفـه الشمالي على الـهضبة الصخرية المرتفعة، فمجـرى الوادي في هذا الجزء منخفض عمّا حوله، كما أن امتدادات المجرى من تلك الجهة الغربية تتجمع فيها المياه من أكثر من رافد لتصب في مجرى واحد ضيق، يستمر في تدفقه حتى يـصل منطقـة السد، وبعد السـد تنكشف له الأرض، ويتخذ له مجاري عدة عبر منطقة واسعة.

وقد كان لضلع ضرية الجبلي والهضبة الشمالية دور في حجز المياه وتوجيه مسار الماء إلى جهة السد. كما ذكرت المصادر

جانب من السد القديم بضرية

السابقة أن السد يعترض الوادي فيحبس الماء ليكون أغزر للعين، وكان السد حتى وقت قريب يقوم بهذه الوظيفة لتغذية الآبار القديمة، والآبار الحديثة التي حفرت في مواقع الآبار القديمة نفسها. ويتدفق الوادي القادم من غرب مدينة ضريّة الحديثة باتجاه السد ومنطقة المزارع، واضعاً جبل سناف عن يساره، وضلعي ضريّة عن يمينه، منحدراً باتجاه الشرق.

والسد مبني من الحجارة الصخرية الكبيرة القوية، المصفوفة فوق بعضها، ومحشو بالكسر الصغيرة لملء الفراغات، وهو مبني بشكل منحنٍ. والهدف من بنائه، حجز مياه الوادي القادمة من الغرب لري المزارع ولتغذية الآبار والعيون القريبة منه.

المباني الحجرية: تقع تلك المباني في القسم الجنوبي، بين ضلعين في منطقة واسعة ومستوية، وهي أرض خصبة زراعية يوجد بها بعض المزارع، ويمر بقربها مجرى الوادي دون الدخول إليها مباشرة، وقد أكسبها ذلك ميزة قربها من مجرى الوادي ووقوعها بين ضلعين في منطقة منبسطة وخصبة.

والجدران والأسوار المبنية من الحجارة يشكل جزؤها الجنوبي مستطيلاً مساحته ٣٠٠م × ٩٠م، وتختفي داخله الجدران الداخلية، وسمك جدار السور، حوالي ٩٠سم. ويرتبط هذا الجزء بمنشآت واقعة شماله، حيث تأخذ أشكال أحواض مستطيلة أقل بقليل من المساحة السابقة، وتظهر فيها أساسات مبانٍ داخلية، يعتقد أنها أساسات لغرف ومنشآت معمارية سكنية بوحدات صغيرة. وفي وسط الموقع توجد بئر ماء مدفونة تظهر فوهتها.

ضنكان

تقع ضنكان في بلاد المنجحة بتهامة عسير في منطقة جازان، وهي إلى الشرق من القحمة المعروفة بين البرك والشقيق على الطريق إلى جازان على خط الطول ٥٠َ ٤١ْ شرقاً ودائرة العرض ٠٥َ ١٨ْ شمالاً. ويمكن الوصول إلى ضنكان عبر طريق المطعن الذي يبدأ من نقطة تقع على بعد ١٠ كم إلى الجنوب من القحمة في مقابل جبل كدمل، الذي يقع في البحر الأحمر على يمين الذاهب إلى جازان. ثم يتجه الطريق شرقاً عبر وادي حمضة، ثم وادي يتمة المذكورين في صفة جزيرة العرب للهمداني. ويبلغ طول هذا الطريق إلى المطعن ٣٥كم. ومن المطعن يسير باتجاه الشمال الغربي إلى موقع ضنكان الذي يبعد عن المطعن بحوالي ١٨كم. والطريق صعب المسالك

بصفة عامة، وتتخلله بعض العقاب المرتفعة والتضاريس الوعرة.

تقع ضنكان في وسط هضبة منبسطة يحيط بها وادي ضنكان، ويلي ذلك جبال أثلة من الشرق، وجبال المسيدرة من الغرب. أما في الشمال والجنوب فتمتد الهضبة إلى ما وراء المنخفض. ويبدو سطح الهضبة التي تقع عليها بلدة ضنكان مغطى بالحصى الأبيض (المرو) الذي يوجد بينه بعض الصخور البركانية المتناثرة.

عرفت ضنكان في المصادر العربية بأنها كانت مخلافاً من مخاليف مكة المكرمة، ومحطة من المحطات الواقعة على طريق الحج اليمني المعروف بالطريق الوسطى أو الجادة السلطانية. كما عرفت في العصور الإسلامية المبكرة باستخراج الذهب من منجمها الذي اشتهرت به، والذي يذكره الهمداني بقوله:

> ومعدن ضنكان من أرض كنانة والأزد بينهما، وقد عثر منه في عصرنا على شيء خد عليه السيل [أي: شقّ عنه الأرض] فغنم منه السلطان والرعية، وهو دون معدن عشم في جودة الذهب، ويأتي رطله بعيار العلوي مائة دينار وديناراً ونصفاً (١٩٧٤: ٢٥٩).

وقد ظلت ضنكان مزدهرة إلى العصر الذي عاش فيه العذري في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الذي يصف طبيعة موقعها بدقة، ويصف كذلك ازدهارها ونشاطها التجاري والعمراني، ويذكر أنها «مدينة برية جبلية، لها رساتيق، وقرى وسوق، وجامع، وأهلها يحفظون حوانيتهم إذا غابوا، ولهم واد يخرج منه تبر الذهب». إلا أن أحوالها، فيما يبدو، ضعفت بعد ذلك القرن، وتوقف استخراج الذهب من منجمها، أو على الأقل لم تعد له تلك الأهمية الاقتصادية التي كانت له من قبل، حتى إن الجغرافي الإدريسي المتوفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م لم يشر إلى وجوده أو استخراج الذهب منه بل إنه لم يمتدح المدينة نفسها ولم يثن عليها، ومن وصفه لها:

> ومدينة ضنكان بلد صغير، أهله مقيمون لا يتحولون عنه إلى غيره، وربما مات الرجل منهم والرجال ولم يخرجوا منه لرؤية غيره، لا ارتحالاً، ولا من قعد، والناس واردون عليها صادرون عنها، وبضائع أهلها قليلة، وأموالهم يسيرة، وصناعتها نزرة حقيرة، وضياعها ضيقة، وثمارها قحطة،

وجملتها غير حسنة (١٣٨:١٩٨٩).

ويبدو أن ضنكان أخذت في الاضمحلال بعد عصر الإدريسي حتى اندثرت نهائياً، وأصبحت على الصورة التي سبق وصفها.

وفي وسط هذه الهضبة تقع آثار بلدة ضنكان، أو حبيل الصوامع كما يطلق عليها الأهالي، وهي مهجورة تماماً إلا من بعض خدور البدو القريبة. ولم يبق منها إلا مقبرتها، وركام المنزل (المحطة)، وبعض أساسات البيوت التي تشكل ما يعرف بالحي السكني. ولعل أهم هذه الأساسات وأكبرها ما يعتقد بأنه المسجد الذي ورد ذكره عند العذري المتوفى سنة ٧٤٨هـ/ ١٠٨٥م، وهو يقع في بقعة تتوسط الحي السكني. وحول هذا المسجد يتناثر ركام المباني الذي تبدو فيه بعض الجدران واضحة من بين الركام المتناثر.

ركام المباني في الحي السكني بمدينة ضنكان الأثرية

ويدخل الحجر الجبلي المحلي في بناء منازل ضنكان، وقد هذب بشكل جميل حتى يلائم البناء، كما وجدت عينات من هذه الأحجار مختلفة عن أحجار الجبال المحيطة بضنكان مما يدعو إلى الاعتقاد بأنها مجلوبة من أمكنة أخرى. أما المقبرة فتمتد إلى الشمال من الحي السكني، وتكاد تخلو من الشواهد المنقوشة باستثناء ثلاثة، أحدها واضح مقروء، وهو غير مؤرخ إلا أنه ربما عاد إلى القرن الأول أو الثاني للهجرة/ السابع أو الثامن للميلاد.